

## ابن حزم في (معجم البلدان) لياقوت الحموي

قال شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (574-626هـ/1178-1229م) في كتابه: (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) وهو (معجم الأدباء):

علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن سفيان بن يزيد الفارسي مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي الأندلسي الإمام العلامة المكنى أبا محمد. مات فيما ذكره صاعد بن أحمد الجياني في كتاب أخبار الحكماء في سلخ شعبان سنة ست وخمسين وأربع مئة، قال: وكتب إلي بخط يده: إنه ولد بعد صلاة الصبح من آخر يوم في شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وثلاث مئة، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة إلا شهراً، قال: وأصل آباءه من قرية منت ليشم من إقليم الزاوية من عمل أونبة من كورة ليلة من غرب الأندلس، وسكن هو وآبؤه قرطبة ونالوا فيها جاهاً عريضاً، وكان أبو عمرو أحمد بن سعيد بن حزم أحد العلماء من وزراء المنصور محمد بن أبي عامر ووزراء ابن المظفر بعده والمدبرين لدولتيهما، وكان ابنه الفقيه أبو محمد وزيراً لعبد الرحمن المستظهر بالله، ابن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر لدين الله ثم لهشام المعتد بالله بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر، ثم نبذ هذه الطريقة وأقبل على قراءة العلوم وتقييد الآثار والسنن، فعني بعلم المنطق وألف فيه كتاباً سماه كتاب التقريب لحدود المنطق بسط فيه القول على تبيين طرق المعارف، واستعمل فيه مثلاً فقيهاً وجوامع شرعية، وخالف أرسطاليس واضع هذا العلم في بعض أصوله مخالفة من لم يفهم غرضه ولا ارتاض في كتبه، فكتابه من أجل هذا كثير الغلط بين السقط، وأوغل بعد هذا في الاستكثار من علوم الشريعة حتى نال منها ما لم ينله أحد قط بالأندلس قبله، وصنف فيها مصنفاً كثيرة العدد شرعية المقصد، معظمها في أصول الفقه وفروعه على مذهبه الذي ينتحله، وطريقه الذي يسلكه، وهو مذهب داود بن علي بن خلف الأصبهاني ومن قال بقوله من أهل الطاهر ونفاة القياس والتعليل.

قال: ولقد أخبرني ابنه الفضل المكنى أبا رافع: أن مبلغ تواليفه في الفقه والحديث والأصول والنحل والملل وغير ذلك من التاريخ والنسب وكتب الأدب والرد على المعارض نحو أربع مئة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة، وهذا شيء ما علمناه لأحد ممن كان في دولة الإسلام قبله، إلا لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، فإنه أكثر أهل الإسلام تصنيفاً، فذكر ما ذكرناه في ترجمة ابن جرير من أن أيام حياته حسبت وحسبت تصانيفه، وكان لكل يوم أربع عشرة ورقة ثم قال: ولأبي

محمد بن حزم بعد هذا نصيب وافر من علم النحو واللغة، وقسم صالح من قرص الشعر وصناعة الخطابة.

ذكر أن ابن حزم اجتمع يوماً مع الفقيه أبي الوليد سليمان بن خلف بن سعيد بن أيوب الباجي صاحب كتابي المنتقي والاستغناء وغيرهما من التواليف، وجرت بينهما مناظرة فلما انقضت قال الفقيه أبو الوليد: تعذرني فإن أكثر مطالعتي كان على سرج الحراس. قال ابن حزم: وتعذرني أيضاً فإن أكثر مطالعتي كانت على منابر الذهب والفضة، أراد أن الغني أضيع لطلب العلم من الفقر.

قرأت بخط أبي بكر محمد بن طرخان بن يلتكين بن يحكم قال الشيخ الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد ابن العربي الأندلسي: توفي الشيخ الإمام أبو محمد علي ابن أحمد بن سعيد بن حزم بقربته وهي من غرب الأندلس على خليج البحر الأعظم في شهر جمادى الأولى من سنة سبع وخمسين وأربعمائة، والقرية التي له على بعد نصف فرسخ من أونة يقال لها متلجتم وهي ملكه ومل سلفن من قبله قال: وقال لي أبو محمد بن العربي: إن أبا محمد بن حزم ولد بقرطبة، وجده سعيد ولد بأونة ثم انتقل إلى قرطبة وولى فيها الوزارة ثم ابنه على الإمام أقام في الوزارة من وقت بلوغه إلى انتهاء سنة ستاً وعشرين سنة. وقال: إني بلغت إلى هذا السن وأنا لا أدري كيف أجبر صلاة من الصلوات.

قال: قال لي الوزير أبو محمد بن العربي: أخبرني الشيخ الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم أن سبب تعلمه الفقه أنه شهد جنازة لرجل كبير من إخوان أبيه، فدخل المسجد قبل صلاة العصر والخلق فيه فجلس ولم يركع، فقال له أستاذه يعني الذي رباه بإشارة أن قم فصل تحية المسجد فلم يفهم، فقال له بعض المجاورين له: أبلغت هذه ولا تعلم أن تحية المسجد واجبة؟ وكان قد بلغ حينئذ ستة وعشرين عاماً قال: فقممت وركعت وفهمت إذاً إشارة الأستاذ إلى بذلك. قال: فلما انصرفنا من الصلاة على الجنازة إلى المسجد مشاركة للأحباء من أقرباء الميت، دخلت المسجد فبادرت بالركوع فقبل لي: اجلس اجلس، ليس هذا وقت صلاة، فانصرفت عن الميت وقد خزيت ولحقني ما هانت علي به نفسي وقلت للأستاذ: دلني على دار الشيخ الفقيه المشاور أبي عبد الله بن دحون، فدلني فقصدته من ذلك المشهد وأعلمته بما جرى فيه، وسألت الابتداء بقراءة العلم واسترشدته، فدلني على كتاب الموطأ لمالك بن أنس - رضي الله عنه - فبدأت به عليه قراءة من اليوم التالي لذلك اليوم، ثم تتابعت قراءتي عليه وعلى غيره نحو ثلاثة أعوام، وبدأت بالمناظرة قال: وقال لي الوزير الإمام أبو محمد بن العربي: صحبت الشيخ الإمام أبا محمد علي بن حزم سبعة أعوام، وسمعت منه جميع مصنفاته حاشا المجلد الأخير من كتاب الفصل وهو يشتمل على ست

مجلداتٍ من الأصل الذي قرأنا منه، فيكون الغائت نحوا لسدس، وقرأنا من كتاب الإيصال أربع مجلداتٍ من كتاب الإمام أبي محمد بن حزمٍ في سنة ستٍ وخمسين وأربع مئة، ولم يفتني من تأليفاته شيء سوى مذكراته من الناقص وما لم أقرأه من كتاب الإيصال. وكان عند الإمام أبي محمد بن حزمٍ كتاب الإيصال في أربع وعشرين مجلداً بخط يده، وكان في غاية الإدماج قال: وقال لي الوزير أبو محمد بن العربي: وربما كان للإمام أبي محمد بن حزمٍ شيء من تواليفه ألفه في غير بلده في المدة التي تجول فيها بشرق الأندلس فلم أسمع، ولي بجميع مصنفاته ومسموعاته إجازة منه مراتٍ عدة كثيرة. آخر ما كان بخط اليجمكي - رحمه الله - .

وأورد له صاحب المطمح أشعاراً منها:

وذي عدل فيمن سباني حسنه ، يطيل ملامي في الهوى ويقول:  
أمن أجل وجه لاح لم تر غيره ، ولم تدر كيف الجسم أنت عليل  
فقلت له: أسرفت في اللوم فأتند ، فعندي رد لو أشاء طويل  
ألم تر أني ظاهري وأنني ، على ما أرى حتى يقوم دليل

وأنشد له:

هل الدهر إلا ما عرفنا وأدركنا ، فجائعه تبقى ولذاته تفتنى  
إذا أمكنت فيه مسرة ساعة ، تولت كمر الطرف واستخلفت حزنا  
إلى تبعات في المعاد وموقف ، نود لديه أننا لم نكن كنا  
حصلنا على هم وإثم وحسرة ، وفات الذي كنا نقر به عينا  
حين لما ولي وشغل بما أتى ، وغم لما يرجى فعيشك لا يهنا  
كأن الذي كنا نسر بكونه ، إذا حقيقته النفس لفظ بلا معنى

وله:

ولي نحو أكناف العراق صباية ، ولا غرو أن يستوحش الكلف الصب  
فإن ينزل الرحمن رحلي بينهم ، فحينئذ يبدو التأسف والكرب  
هنالك تدرى أن للبعد قصةً ، وأن كساد العلم آفته القرب

وله:

لا يشمتن حاسدي إن نكبة عرضت ، فالدهر ليس على حال بمترك  
ذو الفضل كالنبر طوراً تحت ميقعة ، وتارة في ذرى تاج على ملك!

وله:

لئن أصبحت مرتحلاً بشخصي ، فروحي عندكم أبداً مقيم  
ولكن للعيان لطيف معنى ، له سأل المعاينة الكليم

ومن شعر أبي محمد بن حزم:

أنا العلق الذي لا عيب فيه ، سوى بلدي وأني غير طاري  
تقر لي العراق ومن يليها ، وأهل الأرض إلا أهل داري  
طووا حسداً على أدب وفهم ، وعلم ما يشق له غباري  
فمهما طار في الآفاق ذكري ، فما سطع الدخان بغير نار

قال أبو مروان بن حيان: كان أبو محمدٍ حامل فنونٍ من حديثٍ وفقهٍ وجدلٍ ونسبٍ وما يتعلق بأذيال الأدب مع المشاركة في كثير من أنواع التعاليم القديمة من المنطق والفلسفة، وله في بعض تلك الفنون كتب كثيرة غير أنه لم يخل فيها من غلطٍ وسقط لجراءته على التسور على الفنون ولا سيما المنطق، فإنهم زعموا أنه زل هنالك وضل في شكول المسالك، وخالف أرسطاطاليس واضعه مخالفة من لم يفهم غرضه ولا ارتاض، ومال أولاً النظر به في الفقه إلى رأي محمد بن إدريس الشافعي - رحمه الله - وناضل عن مذهبه، وانحرف عن مذهب سواه حتى وسم به ونسب إليه، فاستهدف بذلك لكثير من الفقهاء وعيب بالشذوذ، ثم عدل في الآخر إلى قول أصحاب الظاهر مذهب داود بن علي ومن اتبعه من فقهاء الأمصار، فنقحه ونهجه وجادل عنه، ووضع الكتب في بسطه وثبت عليه إلى أن مضى لسبيله - رحمه الله - وكان يحمل علمه هذا ويجادل من خالفه فيه على استرسال في طباعه، وبذل بأسراره، واستناداً على العهد الذي أخذه الله على العلماء من عباده: (لتبيننه للناس ولا تكتمونه) فلم يك يلفظ صدعه بما عنده بتعريضٍ ولا برقه بتدريجٍ، بل يصك معارضه صك الجنديل، وينشقه متلقمه إنشاق الخردل، فنفر عنه القلوب، وتوقع به الندوب، حتى استهدف إلى فقهاء وقته، فمالوا على بغضه ورد أقواله، فأجمعوا على تضليله، وشنعوا عليه وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم عن الدنو إليه والأخذ عنه، وطفق الملوك يقصونه عن قريبهم، ويسيرونه عن بلادهم، إلى أن انتهوا به منقطع أثره بتربة بلده من بادية ليلة، وبها توفي - رحمه الله - سنة ست وخمسين وأربعمائة، وهو في ذلك غير مرتدع: ولا راجع إلى ما أرادوا به، ييث علمه فيمن ينتابه من بادية بلده من عامة المقتسبين منهم من أصغر الطلبة الذين لا يخشون فيه الملامة، يحدثهم ويفقههم ويدرسهم، ولا يدع المثابرة على العلم والمواظبة على التأليف، والإكثار من التصنيف، حتى كمل من مصنفاته في فنون

من العلم وقر بعيرٍ، لم تعد أكثرها عتبة باديته لتزهد الفقهاء طلاب العلم فيها، حتى لأحرق بعضها بإشيلية ومزقت علانية لا يزيد مؤلفها في ذلك إلا بصيرةً في نشرها، وجدالاً للمعاندة فيها، إلى أن مضى لسبيله، وأكثر معاييه - زعموا - عند المنصف له جهله بسياسة العلم التي هي أوص من إتقانه، ومخلفه عن ذلك على قوة شيخه عمارة، وعلى ذلك كله فلم يكن بالسلم من اضطراب رايه، ومغيب شاهد علمه عنه عند لقائه، إلى أن يحرك بالسؤال: فيتفجر منه بحر علم لا تكدره الدلاء، ولا يقصر عنه الرشاء، له على كل ما ذكرنا دلائل ماثلة، وأخبار مأثورة، وكان مما يزيد في شتانه تشيعه لأمرأ بني أمية ماضيهم وباقيهم بالشرق والأندلس، واعتقاده لصحة إمامتهم وانحرافه عن سواهم من قريش حتى نسب إلى التعصب لغيرهم. وقد كان من غرائبه انتماؤه في فارس واتباع أهل بيته له في ذلك بعد حقبة من الدهر تولى فيها أبوه الوزير المعقل في زمانه، الراجح في ميزانه، أحمد بن سعيد بن حزم لبني أمية أولياء نعمه، لا عن صحة ولاية لهم عليه، فقد عهدته الناس حامل الأبوة. مولد الأرومة من عجم ليلة، جده الأدنى حديث الإسلام، ولم يتقدم لسلفه نباهة، فأبوه أحمد - على الحقيقة - هو الذي بنى بيت نفسه في آخر الدهر براس رابية، وعمده بالخلال الفاضلة من الرجاحة والمعرفة والدهاء والرجولة والرأي، فاغتنى جرثومة سلف لمن نماهم أغنتهم عن الرسوخ في أول السابقة، فما من شرف إلا مسوق عن خارجية، ولم يكن غلا كلا ولا حي تخطى على هذا رابية ليلة، فارتقى قلعةً إصطخر من أرض فارس، فالله أعلم كيف ترقاها، إذ لم يكن يؤتى من خطل ولا جهالة، بل وصله بها وسع علم وشجته رحم معقومة، بلها بمستأخر الصلة رحمه الله، فتناهت حاله مع فقهاء عصره إلى ما وصفته، وحسابه وحسابهم على الله الذي لا يظلم الناس مثقال ذرة عز وجهه. ولهذا الشيخ أبي محمد مع يهود لعنهم الله ومع غيرهم من أولى المذاهب المرفوضة من أهل الإسلام مجالس محفوظة، وأخبار مكتوبة، وله مصنفات في ذلك معروفة، من أشهرها في علم الجدل كتابه المسمى كتاب الفصل بين أهل الآراء والنحل، كتاب الصادع والرد على من كفر أهل التأويل من فرق المسلمين والرد على من قال بالتقليد، وله كتاب في شرح حديث الموطأ والكلام على مسائله، وله كتاب الجامع في صحيح الحديث باختصار الأسانيد والاقتصار على أصحابها واجتلاب أكمل ألفاظها وأصح معانيها، وكتاب التلخيص والتخليص في المسائل النظرية وفروعها التي لا نص عليها في الكتاب ولا الحديث، وكتاب منتقى الإجماع وبيانه من جملة ما لا يعرف فيه اختلاف، وكتاب الإمامة والسياسة في قسم سير الخلفاء ومراتبها والندب والواجب منها، وكتاب أخلاق النفس، وكتابه الكبير المعروف بالإيصال إلى فهم كتاب الخصال، وكتاب كشف الإلباس ما بين أصحاب الظاهر وأصحاب

القياس، إلى تواليف غيرها ورسائل في معانٍ شتى كثيرٍ عددها. باختصار الأسانيد والاختصار على أصحابها واجتلاب أكمل ألفاظها وأصح معانيها، وكتاب التلخيص والتخليص في المسائل النظرية وفروعها التي لا نص عليها في الكتاب ولا الحديث، وكتاب منتقى الإجماع وبيانه من جملة ما لا يعرف فيه اختلاف، وكتاب الإمامة والسياسة في قسم سير الخلفاء ومراتبها والندب والواجب منها، وكتاب أخلاق النفس، وكتابه الكبير المعروف بالإيصال إلى فهم كتاب الخصال، وكتاب كشف الإلباس ما بين أصحاب الظاهر وأصحاب القياس، إلى تواليف غيرها ورسائل في معانٍ شتى كثيرٍ عددها.

ومن شعره يصف ما أحرق له من كتبه ابن عباد قوله:

فإن تحرقوا القِرطاس لا تحرقوا الذي ، تَضَمَّنَهُ القِرطاسُ بل هو في صدري  
يسيرٌ معي حيث استقلت ركابي ، وَيَنْزِلُ إن أنزل ويُدفن في قبري  
دعوني من إخرق رقٍّ وكاغدٍ ، وَقُولُوا بعلمٍ كي يرى الناس من يدري  
وإلا فعودوا في المكاتبِ بدأةً ، فَكَمْ دُونَ ما تبغونَ لله من سترٍ

وله:

كأنك بالزوار لي قد تبادروا ، وقيل لهم أودى على بن أحمد  
فيا رب محزونٍ هناك وضاحكٍ ، وكم أدمعٍ تدرى وخذٍ منحد  
عفا الله عني يوم أرحل ظاعناً ، عن الأهل محمولاً إلى ضيق ملحد  
وأترك ما قد كنت معتبطاً به ، والقى الذي آنست منه بمرصد  
فوارا حتى إن كان زادي مقدماً ، ويا نصبي إن كنت لم أتزود  
وبالبدائع، هذا الخبر على وعورة ما أوضحنا على كثرة الدافنين لها والطامسين لمحاسنها، وعلى ذلك  
فليس ببدعٍ فيما أضيع منه، فأزهد الناس في عالمٍ أهله وقبله رزى العلماء بتزهدهم على من يقصر  
عنهم، والحسد داء ولا دواء له - آخر كلام ابن حيان -  
ولأبي محمدٍ قصيدة يخاطب بها قاضي الجماعة بقربة عبد الرحمن بن بشيرٍ يفخر فيها بالعلم،  
ويذكر أصناف ما علم يقول فيها:

أنا الشمس في جو العلوم منيرة ، ولكن عيبي أن مطلعني الغرب  
ولو أنني من جانب الشرق طالع ، لجد علي ما ضاع من ذكري النهب  
ولي نحو أكناف العراق صباية ، ولا غرو أن يستوحش الكلف الصب

فإن ينزل الرحمن رحلي بينهم ، فحينئذ يبدو التأسف والكرب  
فكم قائل: أغفلته وهو حاضر ، وأطلب ما عنه تجيء به الكتب!  
هنالك يدري أن للبعد قصة ، وأن كساد العلم آفته القرب!  
فواعجباً من غاب عنهم تشوقوا ، له ودنو المرء من دارهم ذنب  
وإن مكاناً ضاق عنى لضيق ، على أنه فيح مذاهبه سهب  
وإن رجالاً ضيعوني لضيع ، وإن زماناً لم أنل خصبه جذب  
ولكن لي في يوسف خير أسوة ، وليس علي من بالنبي اتسي ذنب  
يقول مقال الحق والصدق إنتى ، حفيظ عليهم ما على صادق عتب

وله مثله:

يقول أخي: شجاك رحيل جسم ، وروحك ماله عنا رحيل  
فقلت له: المعاین مطمئن ، لذا طلب المعاينة الخليل  
قال الحميدي وأنشدته قول لأبي نواس:  
عرضن للذي تحب بحب ، ثم دعه بروضة إبليس  
فقال: أنت في طريق التحقيق فقال:  
أبن قول وجه الحق في نفس سامع ، ودعه فنور الحق يسرى ويشرق  
سيؤنسه رفقا وينسى نفاه ، كما نسى القيد الموثق مطلق